

العدمية والتاريخ

نقد سيوران لأسطورة المعنى التاريخي

أ.م.د. د. هبة عادل

كلية الآداب - جامعة بغداد

الخلاصة :

العدمية والتاريخ :

بحثنا يتحدث عن قراءة اميل سيوران للتاريخ ونظراته للمستقبل ، وهو هنا من فلاسفة ما بعد الحداثة ، ممن توجهوا بالنقد للحداثة الغربية .

Abstract :

Nihilism and history :

Our research Speaks a bout reading Of history and his Vision For the Future . it is here Post moderism Philosophers . One Of those Who headed For Cash to Western modernity's .

المقدمة :

الشعور التراجيدي أو المأساوي بالحياة Asense of Tragic ليس غريباً على الفكر الفلسفي وما اكثر الشخصيات الفلسفية التي انصهرت بذلك الشعور قبل ان تسقطه على جمل مكتوبة بتاريخ ذلك الفكر. بل كم من متلق أنصهر بذلك الشعور الذي تلبسه حالما أنتزع عن الكلمات التي قرأ. بحثنا سيكون إبحاراً خطراً في شعور مركز من النوع الذي ذكرنا ، إذ هو عصارة لشعور بدأ مع سن مبكرة جعلت صاحبه الروماني الاصل* يرتقي في أحضان والدته منادياً انه ضاق ذرعاً بكل شيء ، ما جعلها ترد بالقول : بانها لو كانت تعلم بانه سيكون غير سعيد لأجهضته. ما زاد- بحسبه- الشعور مرارة ، فما معنى ذلك غير ان وجودي الا صدفة⁽¹⁾!!!. وان كان ذلك كذلك فان صاحب ذلك الشعور اميل سيوران Emil Cioran ، رغب التخلص منه بالفرار من خلال القراءة . فكان واحدا من اكبر قراء القرن العشرين ، اذ قرأ مكثبات بأكملها⁽²⁾ . وعلى ما يبدو ان القراءة لم تستطع تخليصه منه كذلك ، ما جعله يفر الى الكتابة ، إذ كانت طريقته فيها هي الكتابة المقطعية أو الشذرات ، تلك الطريقة التي عرف بها سلفه نيتشه Nietzsche إذ كان تأثيرة عليه شديد الوضوح والكتابة المقطعية ، بحسب سيوران نفسه ، إن هي الا إستجابة لتشظي الكائن⁽³⁾ . في عام 1995 توفي ذلك الفيلسوف في باريس تاركاً لعنة الشعور الذي حملهُ بين أسطر كتبه التي ترجمت الى مختلف لغات العالم ، وترجم معها عذابات وأرق وشعور المأساة واللاجدوى لينتقل كل ذلك بعدوى وبائية لكل من

(*) فيلسوف فرنسي من أصل روماني (1911-1995)

(1) . 3 p :Wikipediain Emil Ciopan

(2) مستقبل العالم وفقاً لسيوران ، فلم وثائقي M. You Tube.Com 2013/12/12 .

(3) سيوران ، اميل : لو كان آدم سعيداً ، ترجمة وتقديم محمد علي اليوسفي ، الاردن ، 2008 ، ص 7 .

يصاب بفعل القراءة له . وكما نيتشه ، أوصى بعدم رغبته في الصلاة عليه عند مماته ، إذ صرح (بأي حق تصلون من أجلي ؟ لا حاجة بي الى شفيع ، شأني ونفسي)⁽⁴⁾. ونحن لا ندعي بان إبحارنا سيكون في جوانب شعوره المساوي كلها . بل سيكون في منطقة خاصة منه ، والتي توجه حركة التاريخ ومن خلالها نتعرف على فلسفته في قراءة المستقبل .

ذلك إن تلك المنطقة كانت الأهم بل والقيمة الرئيسة في كل فلسفته . ويؤكد ذلك اعترافه الشخصي بالاهتمام بها إذ قال (حكمي المسبق ضد كل ما يحتمل نهاية سعيدة هو الذي جعلني شغوفاً بالقراءات التاريخية والأفكار غير صالحة للاحتضار إنها تموت طبعاً لكنها لا تعرف كيف تموت . في حين ان الحدث لا يوجد الا بقصد ان ينتهي سبب كافي كي نفضل صحبة المؤرخين على صحبة الفلاسفة)⁽⁵⁾. إذن في تلك المنطقة سنبحر باحثين عن حل للغز تساؤل إشكالي عن محرك التاريخ ، سؤال طرحه الفيلسوف بطريقة غير مباشرة من خلال شذراته واجاب عنه بالطريقة ذاتها . ومحاولتنا في الحل ستنتقل من وضع فرضيات وتطبيقات لها من آراء سيوران نفسه . مثلت آراء الفرضية الاولى فترة الحداثة ، بينما مثلت آراءه في الفرضية الثانية فترة ما بعد الحداثة باعتقادنا .

الشر الإنساني وحركة التاريخ - إرث فلسفي يستعيده سيوران -

الفرضية : الشر الانساني

آمن سيوران بفرضية فلسفية ليست بالغريبة على الفكر الفلسفي ، إذ قدم لها كثير من الفلاسفة منذ أقدم العصور عبر آرائهم الفلسفية ومعانٍ مختلفة الا إنها تدور على ثيمة إن الإنسان شرير ، محب للسلطة والتملك ، أناني بالطبع وإن صفاته تلك هي التي يمكن ان توصله الى التسيد وتمكنه على الفعل التاريخي والا غاب أثره في غياهب الجماهير القانعة المستسلمة لمصيرها . هذا النوع من الآراء برز مع نيتشه وفلسفته في أخلاق السادة في العصور الحديثة وهي المعين الذي استسقى منه فيلسوفنا النيتشوي آراءه باعتقادنا ، خاصة وانه أعلن رأيه في أن الارادة هي سر ذلك الشر الانساني فبرأيه (ما إن نقول نريد ، حتى نقع تحت طائلة الشيطان)⁽⁶⁾. فان نريد من هنا تكون البداية لرحلة ارتكاب الشر ، والطمع بالسلطة والتملك هو التعبير الأقوى لتلك الارادة التي يجدها شعوراً طبيعياً في الانسان ، يتخذ خصائص الحالة المرضية التي لا نشفى منها الا عرضاً ، او بعد عملية نضج باطني اما الزهد فيها فما هو برأيه الا شذوذ واستثناء خارج عن هويتنا⁽⁷⁾. ويقول (من شأن أي نوع من الملكية أن يفسد ويُسفل ويُصانع الوحش النائم في قراره كل منا)⁽⁸⁾ وقوله ذلك ان هو إلا تأكيد على ان الانسان شرير بطبعه وتلك الحقيقة أكدها أكثر من مرة في اكثر من مكان في كتاباته المتعددة

(4) سيوران ، اميل : توقعات ، ترجمة لقمان سليم ، مراجعة وضاح شرارة ، لبنان ، 1991 ، ص34 .

(5) سيوران ، اميل : مثالب الولادة ، ترجمة آدم فتحي ، بيروت-بغداد ، 2015 ، ص163-164 .

(6) سيوران ، اميل : مثالب الولادة ، ص189

(7) سيوران ، اميل : تاريخ ويوتوبيا ، ترجمة آدم فتحي ، بيروت-بغداد ، 2010 ، ص67

(8) المصدر نفسه ، ص137

، فالإنسان برأيه (كائن يفرز الكارثة)⁽⁹⁾ ويقول (نحن غرقى في الشر . لا يعني ذلك إن أفعالنا كلها شريرة ، لكن ما ان يحدث لنا أن نرتكب الخير حتى نتعذب ، لأننا نتحرك في الاتجاه المعاكس لفطرتنا . تتحول ممارسة الفضيلة الى تمرين في التوبة والى درس في النسك)⁽¹⁰⁾ . وفي تعليقه على قول بوذا Buddha بان الحقيقة لا تنكشف لذي قلب عامر بالشهوة والضعينة، أردفه متهمكماً بالقول لا لحي يعني⁽¹¹⁾ . وفي تساؤل متهمكهم ومتشكك يعلق سيوران على وجود إنسان بريء بالقول (أشعر بالتأثر وحتى بالصدمة كلها وقعت على بريء. من أين هو قادم ؟ عم يبحث ؟ إلا يجهل ظهوره لكارثة ما ؟ إنه لا اضطراب شديد الخصوصية ذلك يعترينا أمام شخص لا يمكننا باي وجه من الوجوه أن نعتبره من أمثالنا)⁽¹²⁾ . وإذا كان سيوران قد كشف لنا عن سر الشر ومكمنه فانه يكشف لنا عن سره الآخر ، والذي هو الوعي . ما يصيبنا بالذهول أمام تلك المزاوجة بين الوعي والارادة كمصدر للشر ، إذ كيف يمكن ان يجتمع نقيضان ليكونان المصدر ذاته !! والا يتوجب على الوعي ان يكون كالجأ للشر وملجأ وعاصماً؟؟ يقول سيوران (في كل إنسان ينم نبي . عندما يستيقظ يكون الشر قد زاد قليلا في العالم)⁽¹³⁾ .

وكما إن الانسان شرير بالطبع ، فهو إناني بالطبع كذلك ، ولولا ذلك ما صمد في الحياة يقول ("أنا ومن بعدي الطوفان" هو الشعار غير المعترف به لكل منا . نحن لا نسلم بان الآخرين سيعيشون بعدنا الا على امل أن يعاقبوا على ذلك)⁽¹⁴⁾ . ان رأيه ذلك بالانسان جعله يرفض فكرة وجود إنسان سوبر مان Super Man فكرة نيتشه، وقد كان متأثراً بأفكاره الفلسفية ، على ما أشرنا ، ورغم ان تلك الفكرة كانت ساحرة له في شبابه ، حسب قوله ، الا إنها أضحت هذياناً بعد ذلك⁽¹⁵⁾ . بل إنه انتقد الفكرة بشدة بالقول (هو لم يدرس البشر الا عن بعد ولو راقبهم عن كثب لما أمكنه إطلاقاً أن يتصور ولا أن يمدح الانسان الأعلى ، تلك الرؤية الشاذة المضحكة كي لا نقول المثيرة للاستهزاء . إنها وهم أو نزوة لا يمكن أن تظهر الا في عقل شخص لم يجد الوقت كي يكر)⁽¹⁶⁾ . -من المؤكد هنا انه لا يتوجه بالنقد لنيته الا لانه خيب اماله في موضوعه نقده للحدثاء، فكيف بهادم لاصنام الحدثاء، المحيء باصنام اخرى بل واعى لاستبدال فكرة مركزية الانسان بالانسان السوبرمان- وعن علاقة الانسان بالآخرين نجد إن فكرة سارتر Sartre في الآخر الجحيم حاضرة عنده . فالآخر هو العدو الذي أتمنى موته ، لا شعورياً على الاقل⁽¹⁷⁾ ، ولذلك الشعور تجاه الآخر دافعا برأيه ، الاول

(9) سيوران ، اميل :لو كان آدم سعيداً ، ص28

(10) سيوران ، اميل :تاريخ ويوتوبيا ، ص128

(11) سيوران ، اميل :توقعات ، ص53

(12) سيوران ، اميل :مثالب الولادة ، ص175

(13) سيوران ، اميل :لو كان آدم سعيداً ص23

(14) سيوران ، اميل :مثالب الولادة ، ص237

(15) سيوران ، اميل :المياه كلها بلون الغرق ، ترجمة آدم فتحي ، المانيا ، 2003 ، ص61

(16) سيوران ، اميل :مثالب الولادة ، ص108

(17) سيوران ، اميل :لو كان آدم سعيداً ، ص23

فطري محركه شهيتنا في التدمير ، إذ يقول (شهية التدمير راسخة فينا الى حد إننا عاجزون جميعاً عن استئصالها . إنها جزء من بنية كل منا ، بما ان قراره الكينونة الذاتية شيطانية دون شك)⁽¹⁸⁾ اما الدافع الثاني فلأن الآخر ينافسنا في رغبتنا بالتفوق ، خاصة إن كان الآخر ضمن مجال عملنا وذلك قد يدفعنا الى ان لا نقر بتفوق لا حد من الاحياء أبداً ، يقول (لا تعلقو قامة احدهم على قامتنا في مجال نشاطنا حتى نرى في ذلك سبباً كافياً كي نتمنى الخلاص منه)⁽¹⁹⁾ . اما ما يمكن أن يظهر من حسن معاملة الآخر أو الاخلاق اللاعدائية عند البعض تجاه الآخر ، فارجعها الى دافعين كذلك . الاول هي النفع الذاتي إذ يقول (نحن لا نكف عن احترام أو مديح فلان أو إعلان لعله في مزاياهما ، بل لأننا لا نستطيع أن نرتفع إلا على حسابهما)⁽²⁰⁾ . اما الدافع الآخر فهو ضعفنا ، عجزنا أو عدم حضيضنا بفرصة لرد العدوان أو التحرش ، ما يضطرنا الى اصطناع أخلاق التسامح ، ويرى إنه حتى في هذه الحالة فان علامات الغضب المكبوت والاهانة والخزي والعار ستبدو على وجوه من تحلوا باخلاق التسامح تلك⁽²¹⁾ .

وقد تحدث سيوران عن أهمية الشر الانساني كمحفز للفعل ، وكيف ان من أفقده افتقد التميز . يقول (فلنرث الحالة ولنشفق على هذا البائس الذي لم يُرضه أن يتعهد بذاته وان يتنافس مع غيره فظل دون نفسه وتحت الجميع)⁽²²⁾ . ويقول (لم يبحث بين الآخرين من كان عاجزاً عن الغيرة منهم ؟ لن يكون مصيره غير مصير الحطام ، ومن اجل خلاصه لابد من إجباره على الدخول في قالب الطغاة والاستفادة من شططهم وشرورهم . من الطغاة وليس من الحكماء سيتعلم كيف يستعيد رغبته في الاشياء وكيف يعيش)⁽²³⁾ .

فاذا كانت هذه آثار الشر الانساني في فعله كمحرك أو محفز لابد منه، فما سيكون أثره على حركة التاريخ ؟ الاجابة ستتضح في الجانب التطبيقي للفرضية .

التطبيق : الشر الانساني كمحرك للتاريخ

بعد أن تبين لنا رأي سيوران في كيف يمكن للشر في الانسان ان يكون محركه للانطلاق بعد تغيير تكوينه من جبان الى مغامر بعد أن يضرم النار في دمائه ، وكيف انه هو من يجعله ممكناً⁽²⁴⁾ . فعندما نفسي الانسان من براءته الاولى سقط في التاريخ⁽²⁵⁾ . والانسان لا يجتهد أو ينتج الا بدافع الغيرة أو الجشع ، فيكون إنتاجنا أفضل عما نفعل بدافع النبل أو التزاهة ، إذ نبذو كغيلان رائعة ومريخة ، تبدو في حياة من يتأمل جرمًا

(18) سيوران ، اميل :مثالب الولادة ، ص172

(19) سيوران ، اميل :تاريخ ويوتوبيا ، ص105

(20) المصدر نفسه ، ص107

(21) المصدر نفسه ، ص96

(22) سيوران ، اميل :تاريخ ويوتوبيا ، ص74

(23) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها

(24) سيوران ، اميل :تاريخ ويوتوبيا ، ص106

(25) سيوران ، اميل :لو كان آدم سعيداً ، ص12

مربعاً ، بينما في الحقيقة هيء لعملها⁽²⁶⁾ . وهو المعنى ذاته الذي بينه رينيه جيرار R. Girard . عندما قال ان رغبة الانسان لا تتبع من ذاته بل تثيرها رغبة شخص آخر-الوسيط-⁽²⁷⁾ تلك المقولات التي فضحت الانسان وعرت طباعه وانتقدته بعد أن تأله في فترة الحداثة Modernity. اما إن امتلك الانسان السلطة فبفعله سيكون محركاً للتاريخ ، إذ السلطة هي الجحيم المنشط، هي الخليط من السم والترياق ، لانها الحركة للتاريخ بطموحها⁽²⁸⁾ . إن طبيعة الانسان هذه كانت مع أسلافنا ولم يضطروا وقتها الى كبجها وكتبها ، بينما استبدلنا الجريمة بالكلام والمحادثة والابتسامة والمداهنة ، تلك الخناجر غير المرئية أو ما أطلق عليها سيوران — هومو المتمدن⁽²⁹⁾ . ومعروف إن نص ما قاله كان توماس هوبز T. Hobbes قد صرح به في فترة فلسفية سابقة . وان كان الشر الانساني هو محرك التاريخ فان محور الشر-الطغاة-هم صانعوا التاريخ ، يقول سيوران (إني أرى ان الطغاة ، وان كنت أمقتهم ، هم الذين يصنعون نسيج التاريخ ، ولولاهم ما كان لاحد ان يتصور كيف تنشأ ولا كيف تسير إمبراطورية .

إنهم بفظاعتهم الفائقة وبهمييتهم الملهمة ، ليمثلون الانسان وقد دفع الى حدوده القصوى الى أقصى تجليات حقارته ومزاياه⁽³⁰⁾ . وبحسب ما يخرنا سيوران ، فان التاريخ لن يتوقف حينما يشبع الطغاة شراستهم ويتحولون الى رجال طيبين ، إذ سيغار العبيد راغبين في إشباع شراستهم هم أيضاً فـ(طموح الخروف الى أن يتقمص دور الذئب هو باعث أغلب الأحداث كل من ليس له ناب يحلم به . ويريد أن يفترس هو أيضاً . وينجح في ذلك بواسطة حيوانية الكثرة)⁽³¹⁾ . وكما يصنع الانسان تاريخه بالشر الذي فيه تصنعه الامم بالطريقة ذاتها ، يقول (تنبثق الرغبة في السيطرة على العالم من دفع بدئي ومن أعماق تكاد لا تبين . وهي لا تظهر إلا لدى أفراد معينين وفي عصور معينة ، دون ارتباط بنوعية الامة التي تظهر فيها)⁽³²⁾ . ولذلك نجد ميل الى الامم التي لا وازع لها فكراً وفعلاً ، الدائسة على كل القيم التي تقف في طريق نجاحها ، ناقداً الشعوب الاخذة بالحكمة إذ يرى فيها مُصيبة⁽³³⁾ . وفي تشبيه له للشعوب بالحيوانات يؤكد لنا إن الشعوب التي تعيش منسجمة لفترة غالباً ما تسقط في البلادة والخنوع الذي نلاحظه في حداثق الحيوانات التي ابتعدت عن الاحساس بالخوف من بعضها البعض⁽³⁴⁾ . وهو رأي قال به حتى صاحب كتيب مشروع السلام الدائم، أيام شبابه وأقصد كانط Kant هنا. ميله هذا أثار إعجابه بهتلر وطريقة حكمة التي عاصرها ، رغم إعلانه

⁽²⁶⁾ سيوران ، اميل :تاريخ ويوتوبيا ، ص102-102

⁽²⁷⁾ أبو ناضر ، موريس :التنوير في اشكالاته ودلالاته ، لبنان ، 2011 ، ص65-66

⁽²⁸⁾ سيوران ، اميل :تاريخ ويوتوبيا ، ص68

⁽²⁹⁾ سيوران ، اميل :تاريخ ويوتوبيا ، ص94

⁽³⁰⁾ المصدر نفسه ، ص45

⁽³¹⁾ سيوران ، اميل :المياه كلها بلون الغرق ، ص160

⁽³²⁾ سيوران ، اميل :تاريخ ويوتوبيا ، ص47

⁽³³⁾ سيوران ، اميل :تاريخ ويوتوبيا ، ص45

⁽³⁴⁾ سيوران ، اميل :لو كان آدم سعيداً ، ص46

استهجانته له . الا ان تصريحات كثيرة له تفصح عن رغبته في ان يستعيد الغرب مجده ، ولانه آمن بان الشر الانساني هو المحرك للتاريخ ، على ما أشرنا ، فانه كان يرى في همجية هتلر أمله الذي أخفق يقول (حاول هتلر بواسطة الهمجية ان ينقذ حضارة بأسرها كان مال محاولته الفشل . هذا لا يمنع إنها كانت آخر "مبادرات" الغرب)⁽³⁵⁾. ووجد إن أفول الغرب لانه لم يستطع إنتاج غول من نوع أرقى⁽³⁶⁾. كان لسيوران طموحاً ملحوظاً في استعادة الغرب أمجاده ببث روح القوة فيه ، وشدد على ان سبيل أي أمة لا ترغب في الزوال هو استعادتها للروح الاسبرطية وبثها في سكانها ، عندها ستعود لطريق مهمتها في التاريخ⁽³⁷⁾ ما يذكرنا بدعوات نيتشه ومن بعده هيدجر Heidegger في استعادة أخلاق القوة الرومانية واليونانية . فضلاً عن ذلك السبيل ، بين سيوران سبيلاً آخر يتمثل في إجبار الحضارات الأخرى الى تقليدها (لا يمكن تأسيس إمبراطورية إنطلاقاً من نزوة . علينا أولاً أن نرغم الآخرين على تقليدنا ، على الدخول في قالبنا وفي قالب معتقداتنا وعاداتنا تأتي بعد ذلك الحتمية الفاسدة ، ان نصنع منهم عبيداً كي تنعكس عليهم الخطوط الاولى المجملية أو الكاريكاتورية لذاتها)⁽³⁸⁾. وقد آمن سيوران بإمكانية كل شعب ، مهما كان حجمه ، ان يتبنى إيديولوجيا غربية عن تقاليده ، وان بإمكانه هضمها وتغيير طبيعتها لفائدته⁽³⁹⁾. إن سبيل بسط الهيمنة التي يمكن ان تسلكه الشعوب الكاسرة لاختفاء غرائزها ومقاصدها ، بحسب سيوران ، هو سبيل قال به الفيلسوف الفرنسي ريجيس دوبري R. Debray كذلك ، منتقداً له ، مبينا كيف إنها تفعل فعل الدعاية مشوهة الواقع⁽⁴⁰⁾. وهو السبيل ذاته الذي تسلكه الدول الغربية اليوم وعلى رأسها أميركا ، وذلك من خلال أمركة العالم بالعملة تارة ، وبالقوة تارة أخرى . ومن الواضح ان سيوران سلك سبيل مكيافيلي Machiavelli في تبرير الغاية للوسيلة بعد أن أشر ضعف الحضارة الغربية ووصولها للانحطاط⁽⁴¹⁾. على أمل الاستجابة ومحاولة النهوض ، مع إيمانه ان عصر الكمال في الغرب ولى وان (حقائق الفلسفة الانسانية ، الثقة في الانسان وما الى ذلك ، ليس لها حتى الآن سوى فاعلية الاخيلة وازدهار الضلال . الغرب كان هذه الحقائق لكنه لم يعد غير هذه الضلال)⁽⁴²⁾. وما إيمانه ذلك إلا تأكيد على موت فترة الحداثة الفلسفية Modernity وشروعاً في دخول حقبة جديدة بسمات مغايرة هي حقبة ما بعد الحداثة Post Modernity . وهنا يتبادر الى الذهن سؤال هل إن إيمانه بان الغرب يمكن له إستعادة حضارته فيما لو اتبع سبلاً معينه ، هو إشارة لايمان مشابه لما كان عند الفيلسوف

(35) سيوران ، اميل :المياه كلها بلون الغرق ، ص88

(36) المصدر نفسه والصفحة نفسها

(37) مستقبل العالم وفقاً لسيوران ، فلم وثائقي

(38) سيوران ، اميل :تاريخ ويوتوبيا ، ص57

(39) المصدر نفسه ، ص52

(40) دوبريه ، ريجيس :نقد العقل ، ترجمة ، عفيف دمشقية ، بيروت ، 1986 ، ص87

(41) Cioran, Emili-Wikipedia , P 3

(42) سيوران ، اميل :المياه كلها بلون الغرق ، ص92

الالماني هابر ماس Habermas من إن الحدثة مشروع لم يكتمل وان بالامكان إستعادة الحدثة الغربية
باتباع خطوات معينة ؟ ستتكفل خاتمة رحلتنا البحثية الاجابة عن ذلك السؤال .

العدمية والتاريخ

الفرضية : العدمية

يتفق سيوران وبودا على مصطلح (هاوية الولادة) فهي ، باعتقاده ، غور لا نسقط فيه بل ننبثق منه لسوء حظنا⁽⁴³⁾. وذلك المعتقد جعله يستغرب من حزن ونواح الانسان وقت الموت ، بينما الشر الحقيقي يكمن خلفنا لا امامنا⁽⁴⁴⁾.

كما إن إيمانه بمعتقد هذا جعله يعد الابوة إن هي الا جريمة يرتكبها الآباء بحق الابناء ، يقول (اقتربت كل الجرائم ، باستثناء أن أكون أباً)⁽⁴⁵⁾.

إن استهجانا للميلاد واستخفافه به ونفوره منه ، باعتقادنا ، ما هو الا نتيجة عوامل نفسية Psychology كثيرة، حصداً أغلبها في صغره ، منها الحادثة التي كانت له مع أمه ، والتي أشرنا إليها ، فضلاً عن ظروف ترعرعه في مزرعة يمتلكها أهله قرب مقبرة، وصداقته لدفاها الذي كان يزوده بحماجم الموتى التي كان يتخذها كرة للعبته المفضلة- كرة القدم⁽⁴⁶⁾- فان يتحول مركز الانسان-رأسه-لمجرد مادة غير حية ، عظمية جوفاء للعب فذلك هو العدم بعينه . كل ذلك جعله لا يتوانى عن التصريح (أعلم إن مولدي لا يعدو كونه مصادفة إتفاقاً مُسخرًا)⁽⁴⁷⁾. ويقول (كلما عشنا أكثر إكتشفنا انه لم يكن من المجدي أن نعيش)⁽⁴⁸⁾. فضلاً عن انه ما إنفك ينكر أنه ، يقول (أين توجد أحاسيسي ؟ لقد تبخرت ... في أنا ، وما هذه الانا إن لم تكن مجموع تلك الاحاسيس المتبخرة؟)⁽⁴⁹⁾. ويقول (لم أعتبر نفسي على الاطلاق كائناً . أنا لا مواطن ، هامشي ، انا ذلك اللا شيء الذي لا وجود له الا بفضل عدمه المفرط ، بفضل عدمه بالغ الوفرة)⁽⁵⁰⁾. شعوره بلا شيءية نفسه جعل منه لا منتمي عبثي ، ذلك الشعور الفلسفي الاصيل الذي وجدناه يتكرر في تاريخ الفكر الفلسفي وبرز مع العدمية عند أصحاب المدرسة الفلسفية الوجودية Existentialism . يقول (حيثما وليت وجهي انتابني الاحساس نفسه باللا انتماء ، باللعب غير المجدي: أظهار بالاهتمام بما لا يهمني البتة ، أجهد نفسي بدافع الي أو بدافع الشفقة ، دون أن أكون معينا بالامر على الاطلاق ، دون ان أكون في مكان أصلاً)⁽⁵¹⁾.

⁽⁴³⁾ سيوران ، اميل :مثالب الولادة ، ص42

⁽⁴⁴⁾ المصدر نفسه ، ص8

⁽⁴⁵⁾ المصدر نفسه ، ص11

⁽⁴⁶⁾ مستقبل العالم وفقاً لسيوران ، فلم وثائقي

⁽⁴⁷⁾ سيوران ، اميل ، توقعات ، ص34

⁽⁴⁸⁾ سيوران ، اميل ، مثالب الولادة ، ص128

⁽⁴⁹⁾ سيوران ، اميل :مثالب الولادة ، ص18

⁽⁵⁰⁾ المصدر نفسه ، ص217-218

⁽⁵¹⁾ سيوران، اميل: مثالب الولادة، ص36

إن ما يستهويني موجود في مكان آخر ، ولا أعرف هذا المكان الآخر ما يكون ؟) وتتجلى العبثية الملزمة للعدمية في أقوال عدة له نذكر منها (أتسكع بين الايام تسكع بغي في دنيا بلا أرصفة) ⁽⁵²⁾ . ويقول (أني يكن من أمر ما كان ، أراي لم أنفق أيامي سُدى . ففي هذا العالم المجنون ، ككل أحدٍ ، لم أفعل أنا كذلك ، الا أن لهوت) ⁽⁵³⁾ . إن سيطرة فكرة العدمية على سيوران دفعته الى إطراح مسألة المعرفة ، إذ لا جدوى منها مع التسليم المطلق بلا حقيقة ، يقول (نقضُ على العلوم ، هذا العالم لا يستأهل تعرفه) ⁽⁵⁴⁾ . فضلاً عن إننا (عندما نعرف بشكل بات ان كل شيء غير حقيقي ، فاننا لا نرى سببا حقيقيا يجعلنا نتعب أنفسنا في البرهنة على ذلك) ⁽⁵⁵⁾ . موجات العدمية رمت به على شاطئ اللامعنى وتفاهة كل شيء إذ صرح قائلاً (لا أحد إقتنع مثلي بتفاهة كل شيء ، ولا أحد تعامل مثلي بمأ ساوية مع كل هذا العدد الهائل من الاشياء التفاهة) ⁽⁵⁶⁾ وهكذا يكون من الطبيعي والتلقائي في عالم العدم الذي نزل فيه أن لا يطالب باي التزامات ، ما يجعله حراً الى درجة غير مشعور بها !! يقول (يجدر بي وقد دمرت كل روابطي أن يغمري احساس بالحرية . والحق ان ذلك الاحساس يغمري فعلا ، وهو حاد ، الى درجة إني أخاف الاستمتاع به) ⁽⁵⁷⁾ .

الا ان أخطر ما في العدمية هو التوقف عن الفعل ، تعليق الحكم ، الشعور بالعجز واليأس والاستسلام . لقد كانت أهم الحقائق التي أوصلتها العدمية له على الاطلاق هي (ليس في وسعنا عمل شيء) ⁽⁵⁸⁾ . يقول (لم يكن الفردوس مكانا يمكن تحمله وإلا لاستطاع الانسان الاول ان يتلائم معه . وليس هذا العالم أكثر قابلية للتحمل بما إننا نفتقد الفردوس أو نطمح الى آخر .

ما العمل ؟ الى أين نذهب ؟ لنمتنع ، ببساطة ، عن عمل أي شيء وعن الذهاب الى أي مكان) ⁽⁵⁹⁾ . إن اختياره للا شيء ، إن هو الا نقداً موجهاً للحدثة بأسلحة أفكار ما بعد الحدثة ، إذ رفض تمجيد الانسان كبديل لله ، كما فعل اصحاب الحدثة ، بل إستبدالها بالا شيء . يقول (لماذا التخلص من الله للوقوع في الذات ؟ لماذا تبادل الجثث هذا ؟) ⁽⁶⁰⁾ وهو هنا يذكرنا بمقولة نيتشة المعروفة في موت الله ، فمثله يصرح سيوران بانه تخلص من الله آخر المزعجين ⁽⁶¹⁾ !!

⁽⁵²⁾ سيوران ، اميل :توقيعات ، ص16

⁽⁵³⁾ المصدر نفسه ، ص119

⁽⁵⁴⁾ سيوران ، اميل :توقيعات ، ص14

⁽⁵⁵⁾ سيوران ، اميل :مثالب الولادة ، ص42

⁽⁵⁶⁾ المصدر نفسه ، ص150

⁽⁵⁷⁾ المصدر نفسه ، ص226

⁽⁵⁸⁾ المصدر نفسه ، ص201

⁽⁵⁹⁾ سيوران ، اميل :المياه كلها بلون الغرق ، ص19

⁽⁶⁰⁾ المصدر نفسه ، ص110 .

⁽⁶¹⁾ المصدر نفسه ، ص103-104.

التطبيق : العدمية ، عبثية التاريخ

يقرأ سيوران التاريخ بأنه فقدان الابدية والسقوط في الزمن والتكيف معه فلو (كان آدم سعيداً لو فر علينا التاريخ)⁽⁶²⁾. والتاريخ هو (ديناميكية الضحايا)⁽⁶³⁾. وانه (ليس مقر الكينونة بل هو غيابها ، نفي كل شيء)⁽⁶⁴⁾. فما هي المسوغات التي أعتمدها في قراءته هذه ؟ لم يؤمن سيوران بالماضي الذي يكف عن الانتماء اليها ويكف عن ان يعني أحداً⁽⁶⁵⁾. فهو تقاطع ونيته في فكرة العود ، إذ بحسبه ، لا شيء يعود ، يقول (مخطة قطارات الشمال . فيها ساعة حائطية تشير الى الدقائق : الساعة الآن ، الرابعة و 43 دقيقة ، فكرت في أن هذه الدقيقة لن تعود أبداً ، وانها تلاشت الى الابد ، غاصت في الكتلة المحتومة التي لن تعود . كم تبدو لي نظرية العودة الابدية تافهة وبلا أسس ! كل شيء يتلاشى الى الابد . ولن أعود الى رؤية هذه اللحظة أبداً . كل شيء هو متفرد وبلا أهمية)⁽⁶⁶⁾. وينطبق الامر نفسه على الحاضر الممهد للمستقبل ، إذ لم يؤمن به ، يقول (المستقبل ، اذهبوا لرؤيته اذا كانت تلك رغبتكم . أفضل الاكتفاء بهذا الحاضر الذي لا يصدق ، وهذا الماضي الذي لا يصدق ، تاركاً لكم أنتم عناء مواجهة ما لا يصدق نفسه)⁽⁶⁷⁾. إيمانه هذا دفعه الى اليأس والتقاعس وتعطيل الفعل ، إذ دعا الى إيقاف النسل بالقول (إذا كنا نتوقع النهاية وعلى يقين من إنها لن تتأخر ونكاد نستعجلها ، فان من الأفضل أن ننتظرها لوحدها)⁽⁶⁸⁾. فضلاً عن سخريته من الفعل والاجتهاد وطموح التمييز ، يقول (ما جدوى التمييز في عالم مسكون بالمجانين موغل في البلاهة أو الهذيان ؟ من أجل من نجهد النفس ولاي هدف ؟ بقي أن أعرف إن كنت تحررت حقاً من هذا اليقين المخلص في المطلق ، المهلك في الراهن)⁽⁶⁹⁾. ولانه آمن باللا شيء ، بالفناء .. لام الفاعل الانساني وكان ناصحاً له بان يتذكر فناءه وان لا يسقط في النسيان !! (أيها الفاني فكر مثل فان)⁽⁷⁰⁾. وفي إشارة ضمنية ، مبطنة ، يتوجه بالنقد الى الحداثة من خلال نقده ثيمتها الرئيسة-التقدم-كسلفه روسو Rousseau الذي أعده فيلسوف الحداثة وناقدها . فمن نقوداته لهذا المضممار (كل من استطاع عن غير قصد أو بسبب من عدم الكفاءة ، إعاقاة البشرية ولو قليلاً عن التقدم ، هو صاحب يد بيضاء على البشرية)⁽⁷¹⁾. ويقول (الايمان بالتقدم من أكثر الخرافات زيفاً وسذاجة)⁽⁷²⁾. ويقول في التقدم بأنه (المظلمة التي يقترفها كل جيل في حق الجيل الذي سبقه)⁽⁷³⁾. وبنقده للتقدم هو

⁽⁶²⁾ سيوران ، اميل :المياه كلها بلون الغرق ، ص160

⁽⁶³⁾ سيوران ، اميل :لو كان آدم سعيداً ، ص27

⁽⁶⁴⁾ سيوران ، اميل : تاريخ ويوتوبيا ، ص164

⁽⁶⁵⁾ سيوران ، اميل :مثالب الولادة ، ص62

⁽⁶⁶⁾ سيوران اميل :لو كان آدم سعيداً ، ص62

⁽⁶⁷⁾ سيوران ، اميل :مثالب الولادة ، ص72 ص170

⁽⁶⁸⁾ سيوران ، اميل :مثالب الولادة ، ص176

⁽⁶⁹⁾ المصدر نفسه ، ص35

⁽⁷⁰⁾ المصدر نفسه ، ص206

⁽⁷¹⁾ سيوران ، اميل :المياه كلها بلون الغرق ، ص92

⁽⁷²⁾ سيوران ، اميل :مثالب الولادة ، ص162

يلغي غائية التاريخ ، يقول (سيتم "تحرير" الانسان يوم يتخلص من ملف الغائية ليفهم إن ظهوره حدث عارض)⁽⁷⁴⁾ . وهكذا يكون التاريخ بلا معنى عنده (ثمة من الصدق والجدية في العلوم الغيبية أكثر مما في الفلسفات التي تصر على جعل التاريخ ذا معنى)⁽⁷⁵⁾ . ويقول (هكذا هو التاريخ الكوني ، في لحظة معينة كل حضارة تنضج للاختفاء . إذن تساءل عن معنى هذا المجرى أو اليسر ، لكن لا معنى له . هناك مجرى فحسب)⁽⁷⁶⁾ . وفي نص ساخر تترج فيه عبثية التاريخ والعبثية الانسانية يُشكل سيوران عزاءً ظريفاً لكل من أخفق في تقبل الوجود والانتماء له ، يقول (لو كان للتاريخ غاية ، لكان مصيرنا يثير الرثاء ، نحن الذين لم ننجز شيئاً . اما في هذا الا معنى الشامل ، فقد بات في وسعنا نحن الحقراء الصعاليك الذين لا جدوى لهم ، أن نرفع رؤوسنا فخورين بكوننا كنا على حق)⁽⁷⁷⁾ . إن التفسير الوحيد الذي أضفاه سيوران على كل ما يحدث من أحداث ، وهو يتفق ونيتشه هنا ، إن هو الا (صيرورة) والتي هي إحتضار بلاخاتمة⁽⁷⁸⁾ . فبرايه (نحن لم نولد كي نُحدد أو نقلب الامور راساً على عقب ، بل ولدنا كي نستمتع بنصينا من شبه الكينونة ، ونستهلكه هـدوء ، ثم نختفي دون ضجة)⁽⁷⁹⁾ . وعن تفسيره للكيفية التي تحدث بها الصيرورة في التاريخ يقول (التاريخ في جوهره غيبي ... إنه يستقر ويتقدم لان الامم تُصفي أحكامها المسبقة الواحد بعد الآخر . لو تخلصت منها دفعة واحدة لما بقي سوى تفكك كوني سعيد)⁽⁸⁰⁾ . وفي تاريخ الفكر الفلسفي ثمة تفسيرات طرحت عن خلاص وإن آمن أصحابها باللاجدوى أو امتنعوا عن إعطاء تصور للنهايات ، واستبعدوا القول بعوالم أخرى غير عالمنا . فهل كان سيوران منهم ؟ يجب (إعتدنا أن نعيش في حالة إنتظار مراهنين على المستقبل أو على صورة زائفة للمستقبل ، الى درجة إننا لم نتصور فكرة الخلود الا بسبب حاجتنا الى الانتظار طيلة الابد)⁽⁸¹⁾ . وفي نصه تحكم واضح من كل أمل بخلاص . يؤكد ذلك قوله (اليقين بان لاخلاص هو شكل من أشكال الخلاص ، بل هو الخلاص نفسه .

إنطلاقاً من ذلك نستطيع أن نرتب حياتنا كما نستطيع ان ننشئ فلسفة للتاريخ ما لا يحل باعتباره حلاً ، باعتباره المنفذ الوحيد ...)⁽⁸²⁾ . الا انه رغم ذلك ، كان له نص يبدو فيه باحثاً عن بديل ، يقول (نادرة هي الايام التي ترمي بي في ما بعد التاريخ دون أن أراي شاهداً على ذهول الالهة وهي تشرف على خاتمة الحلقة

(73) المصدر نفسه ، ص159

(74) سيوران ، اميل :المياه كلها بلون الغرق ، ص164

(75) سيوران ، اميل :المياه كلها بلون الغرق ، ص163

(76) سيوران ، اميل :تاريخ ويوتوبيا ، ص11

(77) سيوران ، اميل :المياه كلها بلون الغرق ، ص109

(78) المصدر نفسه ، ص77

(79) سيوران ، اميل :مثالب الولادة ، ص179

(80) المصدر نفسه ، ص238

(81) سيوران ، اميل :مثالب الولادة ، ص127 .

(82) المصدر نفسه ، ص240 .

البشرية . لا بد من رؤية بديل ، ما دامت رؤية القيامة لم تعد تُرضي أحداً⁽⁸³⁾ . في هذا النص يظهر فيه ناكراً لعالم آخر ، للرؤى الماورائية وللتاريخ وصولاً للعدمية ، وهو نص يفصح قائله عن كفره بالحدائث وقيمها وغاياتها . نقول مع كل ذلك يطالب النص ببديل . وكان سيوران قد إمتدح الموت بالقول (الموت نكهة الوجود ، وحده يسبغ مذاقاً على اللحظات ، وحده يقاوم تفاهاتها . نحن مدينون له بكل شيء تقريباً . هذا الاعتراف بالدين . الذي يزداد انكاراً له ، هو أفضل تعزية لنا في الحياة الدنيا)⁽⁸⁴⁾ .

فهل كان كهيدجر في فلسفته عن الموت ؟ ان الموت هو العدم وسيوران أنكر عوالم يمكن ان تقع خلفه ، فلا يمكن القول بالموت كخلاص . وهو اقر ان الموت لا يشكل خلاصه ، لان طعم العدم بعد الموت ليس نفسه قبل الولادة⁽⁸⁵⁾ . فضلاً عن نص الموت ، كان لسيوران نص في إمتداح الشعر والموسيقى ، وكيف يمكن لهما أن يبعدانا خارج الزمن ، يقول (في الشعر يستبعد الزمن ، فاذا انت خارج الصيرورة ... الموسيقى والشعر غيوبتان متساميتان)⁽⁸⁶⁾ فهل يمكن أن نصل من نصه انه مع شوبنهاور Schopenhauer ونيتشه وهيدجر في إعتقاد الفن كخلاص ؟ يمكن لنا القول إنه إتخذ من الشعر والموسيقى نوع من الخلاص ، الا انه خلاص مؤقت ، كالمخدرات والمسكرات ، إذ هما غيوبتان . ما يجعلنا نسلم بان اللاخلاص عنده هو الخلاص الوحيد . ومن ذلك الايمان سحر ووجه نقوداته الحادة لكل من آمن باليوتوبيا ، ذلك إن في اليوتوبيا تنطوي معاني الهدف والغائية والنظرة اللاعدمية-التفاؤلية- وهي المعاني التي تتبناها التفسيرات المثالية ideal والميتافيزيقية Metaphysical للتاريخ . مثلما تنطوي على الاعتراف بقيم ووعود الحدائث . فما اليوتوبيا وكيف انتقدتها ؟ لفظة اليوتوبيا التي إتخذ سيوران منها اسم لكتابه غير المقطعي (تاريخ ويوتوبيا) صيغت من قبل الفيلسوف توماس مور Thomas More في كتابه المشهور اليوتوبيا Utopia سنة 1516⁽⁸⁷⁾ . واليوتوبيا هي محاولة صنع أمكنة غير معتادة⁽⁸⁸⁾ . أو بناء قصور من الرمال إن صح القول . وهي بتعريف سيوران (الغريب الذي يحلو في العين ، تلك الحاجة الى ربط السعادة ، أي ما هو مستبعد ، بما هو في وضع صيرورة ، ودفع الرؤية التفاؤلية الهوائية الى حيث تلتحق بنقطة إنطلاقها)⁽⁸⁹⁾ . يظهر النص كُفر سيوران باليوتوبيا ، وقد أطلق على الكتابات التي تؤمن بها ب (الادب المنفر)⁽⁹⁰⁾ .

يقول (ما إنفك الانسان يعتقد انه أشرف على الاسوأ في كل عصر ، الا في العصور التي أعماها الطيش أو اليوطوبيا)⁽⁹¹⁾ . وكأننا نجده هنا يسوغ لايمانه ، بانه ليس الوحيد المعتقد بترعة تشاؤمية ، فمثله كثير في كل

⁽⁸³⁾ المصدر نفسه ، ص15 .

⁽⁸⁴⁾ سيوران ، اميل : لو كان آدم سعيداً ، ص38 .

⁽⁸⁵⁾ زناز ، حميد: المعنى والغضب،مدخل الى فلسفة سيوران،الجزائر،2009،ص36 .

⁽⁸⁶⁾ سيوران،اميل: لو كان ادم سعيداً،ص18 .

⁽⁸⁷⁾ Edards , Paul : The encyclopedia of philosophy , new york , 1967 , P.212 .

⁽⁸⁸⁾ AP , P.215 .

⁽⁸⁹⁾ سيوران ، اميل : تاريخ ويوتوبيا ، ص59 .

⁽⁹⁰⁾ المصدر نفسه ، ص120 .

⁽⁹¹⁾ سيوران ، اميل : مثالب الولادة ، ص163 .

العصور . هو كان يردد إن الإيمان باليوتوبيا هو إيمان البؤساء والبلهاء والسذج ، وإن أصحابها سيصبحون عاطلين عن العمل إن تخلوا عن الدعوة لها⁽⁹²⁾ . وبنص ظاهره نقد لليوتوبيا وباطنه نقد للحدثا وسماها يقول سيوران (في المدن المثالية يُخبو كل صراع وتكبح الارادات وتهدأ وتتفق بما يشبه المعجزة . هناك لا تسود الوحدة المجردة من عنصر الصدفة أو التناقض . إن اليوتوبيا مزيج من العقلانية الصيبانية والملائكية المعلمنة)⁽⁹³⁾ . الا انه ، من جهة أخرى يُقر رغم كل شي باهمية اليوتوبيا ، إذ كانت له آراء شبيهة بآراء ريجس دوبريه عن اليوتوبيات . فالحياة تصبح خانقه والعالم يكون مُتحرراً من دون يوتوبيا ، فالانبهار بالمستحيل هو من يمكنه تحريكنا⁽⁹⁴⁾ .

وأعتقد إن يوتوبيا سيوران ، التي خفت من إحتناق الحياة عنده ،اليوتوبيا الوحيدة التي نعتقد انه قبل القول بها، كانت البراءة الاولى^(*)، مُستحيله الذي ما إنفك مبهوراً به في كتاباته ، ومُتأسفاً على فقدانه ، إنه الوضع الذي كان عليه الانسان قبل الوعي^(*)، يقول (أه لو كان في وسعنا العودة الى تلك العصور حين لا مفردة تعوق الكائنات ، العودة الى إقتضاب الصيحة وفردوس البلادة وذلك الدهول الفرح لما قبل اللغة)⁽⁹⁵⁾ . وهنا يقفز الى الذهن تساؤلا ، بعد أن توصلنا بان خلاصه في الاخلاص ، هل يمكن أن نعود في رأينا لنجد انه قال بانه يمكن ان يكون الخلاص في حالة اللاوعي وانه نشد كـ(نيتشه) الخلاص من الوعي بالسقوط في النسيان ؟ الحق إننا بينا انه كسلفه نيتشه كانت الموسيقى والشعر سبيله للخلاص المؤقت، وهي حالة من اللاوعي المؤقت . فهل يمكن أن يكون الخلاص في اللاوعي الدائم ؟ سيوران لم يقل حتى بذلك ،لايمانه باستحالة العودة لتلك الحالة على ما نعتقد، فهو وإن صرح بالقول (أن تكون حيوانا أفضل من ان تكون إنسانا ، أن تكون حشرة أفضل من أن تكون حيوانا ، أن تكون نباتاً أفضل

من ان تكون حشرة ، وهكذا دواليك . الخلاص كل ما يُوهن سلطان الوعي ويُطيح بهيمته)⁽⁹⁶⁾ . نقول وان كان صرح بذلك الا إنه سلم باللافائدة وإن الجنس البشري يمعن في الانحطاط والعماء وانه لا شيء عادي⁽⁹⁷⁾ . أي انه يؤكد لنا استحالة العودة الى حالة اللاوعي-انكار لامكانية استعادة الحالة الاولى-كذلك وبالتالي هو يؤكد الاخلاص . وواضح ان في كل آرائه السابقة نقد للحدثا وسماها ووعودها وتأكيد على العدمية والعبيثية للفترة اللاحقة لها ، والكافرة بها . يقول (ما بك ؟ قل لي ما بك ؟ أنا بخير ، أنا بخير ، كل

⁽⁹²⁾ سيوران ، إميل : تاريخ ويوتوبيا ، ص121-123 .

⁽⁹³⁾ المصدر نفسه ، ص128 .

⁽⁹⁴⁾ المصدر نفسه ، ص120 .

^(*) كانت حادثة مغادرته بلده في رومانيا أثرها على كتاباته ، إذ كثيراً ما تسأل عن جدوى مغادرته .

^(*) وكأنا أمام قول هيجل بالوعي الشقي، وأمام قيم ما بعد الحداثة التي تمجد الجنون في مقابل عقل الحداثة.

⁽⁹⁵⁾ سيوران ، إميل : المياه كلها بلون الغرق ، ص29 .

⁽⁹⁶⁾ سيوران ، إميل : مثالب الولادة ، ص41 .

⁽⁹⁷⁾ سيوران ، إميل : المصدر نفسه ، ص215 .

وأنظر : سيوران ، إميل : لو كان آدم سعيداً ، ص14 .

وأنظر : سيوران ، إميل : مثالب الولادة ، ص151 .

ما في الأمر أبي وثبت الى خارج مصيري ، وها أنا لا أعرف الآن إلى أين التفت وفي أي اتجاه أركض...⁽⁹⁸⁾. وأرى أن لا حاجة بنا بعد الآن لسؤال سيوران عن قراءته للمستقبل ، إذ باتت الاجابة واضحة ، وهذا يؤكد بالقول : (رؤيتي للمستقبل واضحة الى حد أبي ، لو كان لي أطفال لحنقتهم على الفور)⁽⁹⁹⁾.

الخاتمة :

أثار ابحارنا مع فكر سيوران الفلسفي، الموجه في هذه الرحلة نحو التاريخ ، أسئلة عدة ففي توقفنا بالخطوة الأولى من الرحلة ، نجد كمن يوجه للغرب دعوة لاستعادة مجده وقوته ، بينما رافقتنا الدهشة ونحن نستمع له في المحطة الثانية من الرحلة وهو يسخر من الاجتهاد والفعل ولا يسلم إلا للعدمية . فهل نحن امام فكر متناقض ؟ واحدة من اعترافات سيوران الصريحة قوله: (اتخذ قراراً وأنا واقف اضطلع فالغيه)⁽¹⁰⁰⁾. ويقول(استطيع ان اضع مقولتين متناقضتين جنباً الى جنب،الاقوال ايضا حقائق عابرة مرتبطة باللحظة وليست احكاماً قضائية)⁽¹⁰¹⁾ إلا أننا لا نعه تناقض ، إذ عرفنا فلسفته في الحضارات وان كل حضارة تنضج لتختفي ، أي حتى الحضارات التي تنشأ وترسخ فان مصيرها الأخير هو الالاجدوى - الافول - هذا اولاً، اما ثانياً والا هم، فان الصلة بين الشر كمحرك للتاريخ والانتها للعدمية تنضح جلية في مقولة سيوران، لان الانسان شرير فالتاريخ ملعون، شيطاني وماساوي في ان، لهذا نجد ضد الايديولوجيات التي تصنع التاريخ بينما التاريخ لا يصنع، انه موجود⁽¹⁰²⁾ ومن جهة أخرى ستجلي اجابة السؤال الذي طرحناه في منتصف رحلتنا ، أن كان مع هابرماس في رؤيته للحدثة بأنها مشروع لم يكتمل ام لا ، نقول ستجلي اجابتنا الغموض والشك الذي يمكن ان يزال عندنا نحو امكانية ان يكون هذا الفكر الفلسفي متناقضاً أم غير متناقض يقول: عندما نعمل يكون لنا هدف ، لكن ان انتهى ، تنتهي واقعيته ، ماهيته الحقيقية ، ونذكر انه كان مجرد لعب . وفي اشارة الى نفسه يقول: (ان هنالك من يرى ذلك اللاحقيقي ، فـ(كل شيء لعب) و(كل شيء تافهاً)⁽¹⁰³⁾. يتضح لنا هنا بشكل جلي ، انه ناقد للحدثة الغربية ومن فلاسفة ما بعد الحدثة فالحدثة انتهت ، وبانتهائها وصلنا الى اللاشيء ، الى العدم . وفلسفته في التاريخ كانت وسيلته في نقده للحدثة، فهو كالفيلسوفة الاميركية من اصل الماني حنة ارنت Hannah Arendt نقد الفكر الغربي المتمركز حول ذاته، واسلوب الحدثة في تفسير التاريخ، بل وامال

⁽⁹⁸⁾ المصدر نفسه ، ص 261 .

⁽⁹⁹⁾ المصدر نفسه ، ص 161 .

⁽¹⁰⁰⁾ سيوران ، ايميل : المياه كلها بلون الغرق ، ص 73 .

⁽¹⁰¹⁾ لا فيتش ، ايفاتيكولا : حوار مع المفكر اميل سيوران ، المسرة ، 2010

⁽¹⁰²⁾ المصدر نفسه .

⁽¹⁰³⁾ سيوران ، ايميل : مثالب الولادة ، ص 16-17 .

ووعود الحداثة كلها. وما قوله (تبدا كل حضارة باسطورة وتنتهي بشك)⁽¹⁰⁴⁾. الا اشارة لموت السرديات الحداثية الكبرى.

وفي الختام لابد ان نضع النقط على الحروف لاجل ان يصل المعنى: صرح سيوران ان نصوصه كانت مقطعية (سبب الكسل، سبب الترق، سبب القرف، لكن لاسباب اخرى ايضا...) ⁽¹⁰⁵⁾.

فضلا عن ان اسلوبه المجازي البلاغي الصعب تمذجته ، فكيف يمكن تفسير وتأويل كلام يعج بالرؤى الشعرية؟ من يغامر في تفسير ما لايفسر وما لايفهم؟ كيف التعامل مع نصوص يؤمن صاحبها بان ينفي كل ماهو قابل للتصنيف ولا يبقى الا ما كان(جمال اوجه)، فماسة الكاتب الحقيقية حينما يتم فهمه؟⁽¹⁰⁶⁾. لكل ذلك نحن لاندعي ان رحلتنا البحرية في فكر سيوران كانت امانة. افادتنا منها كانت صورة واحدة من صور فكره المتعدد(جمال الاوجه)، لتخرج على تلك الهيئة، وليغفر لنا سيوران ذلك المونتاج واجتهادنا في اضافة رتوش لانعلم موقفه منها لو كان بيننا. وما عذرنا، واجتهادنا في حياكة خيوط نصوصه لتشكيل نسيجنا موحد الا محاولة منا لا يصال بعض افكاره لكل متلقي لا يمكنه، كالمتلقي المختص، الافادة من الاطلاع على نصوصه المقطعية.

⁽¹⁰⁴⁾ زناز ، حميد : المعنى والغضب ، ص78 .

⁽¹⁰⁵⁾ سيوران ، ايميل : مقتطفات من كتاب اعترافات ولعنات ، ترجمة: محمد علي اليوسفي ، مجلة المسرة الالكترونية ، اكتوبر ، 2012 .
www.al-maseera.com.

⁽¹⁰⁶⁾ زناز حميد : المعنى والغضب ، ص57-58 .

قائمة المصادر :

– مؤلفات أميل سيوران :

- المياه كلها بلون الغرق ، ترجمة : آدم فتحي ، المانيا ، 2003 .
- تاريخ ويوتوبيا ، ترجمة : آدم فتحي ، بيروت – بغداد ، 2010 .
- توقيعات ، ترجمة: لقمان سليم ، مراجعة : وضاح شرارة ، لبنان ، 1991 .
- لو كان آدم سعيداً، ترجمة وتقويم: محمد علي اليوسفي ، الاردن ، 2008 .
- مثالب الولادة ، ترجمة : آدم فتحي ، بيروت – بغداد ، 2015 .

– المصادر الثانوية :

- ابو فاخر ، موريس ، التنوير في اشكالاته ودلالاته ، لبنان ، 2011 .
- دوبريه ، ريجس ، نقد العقل ، ترجمة: عفيف دمشقية ، بيروت ، 1986 .
- زناز، حميد: المعنى والغضب، مدخل الى فلسفة سيوران، الجزائر، 2009

المصادر باللغة الانجليزية والشبكة العنكبوتية :

- Edward , Pauk : The encyclopedia of philosophy , New York , 1967 .
- Cioran , E-mil : wikipedia .
- سيوران، اميل: مقتطفات من كتاب اعترافات ولعنات، ترجمة محمد علي اليوسفي، مجلة المسرة الالكترونية، اكتوبر، 2012، www.al-maseera.com
- ،ايفانيكولا: حوار مع المفكر اميل سيوران، المسرة، 2010 لافيتش
- <https://azooof.wordpress.com>
- مستقبل العالم وفق سيوران ، فلم وثائقي m.youtube.com ، 2013/12/14 .